نحو دراسة واعية لتراثنا الحضاري

يوسف بلمهدي

مما تحفل به الشريعة الإسلامية وتفتخر أنها فجرت الطاقة العقلية، ودعت إلى العلم من المهد إلى اللحد، ورفعت مقام العلماء مكانا كما في قوله تعالى: ***(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله هو العزيز الحكيم)*** [1].وقد خدم العلماء العلم بكل ما أتوا من قوة وعزم وفي كل تخصص، فدرسوا وألفوا وحققوا وخلفوا لنا رصيدا هائلا في مجالات عدة، ورغم ما تعرضت له مكتبات المسلمين – إبّان فترة الاستعمار الذي رزحت تحتها أغلب البلاد الإسلامية والعربية – من نهب وسلب، فإنها لا تزال عامرة، وفي تاريخنا حدثت أعظم مأساة في بغداد حين سالت مياه دجلة مدادا. بيد أنها لم تنقص من كنوز العلم إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، ذلك لأن أهل العلم أرادوا التقرب إلى الله بمصنفاتهم إيمانا منهم أن العلم هو طريق الجنة وأن خشية الله لا تنال إلا بالعلم قال تعالى: **(إنما يخشى الله من عباده العلماء)** [2]. فأكثروا منه زيادة في الأجر.

ثم إنهم حملوا الصدقة الجارية الوارد ذكرها في الحديث الشريف: "***إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره***"، حملوا ذلك بعد الوقف على التصنيف والتعليم، وهو في التصنيف أظهر لأنه أطول استمرارا وأدوم نفعا. ولو ترك التصنيف لضاع العلم على

---

*أستاذ جامعي

[1] سورة آل عمران ، الأية 18. [2] سورة فاطر، الأية 28

الناس[1]، وقد أيقنوا أن الكتاب أفيد وأنفع من غيره، لأنه يقرأ بكل مكان ويدرس في كل زمان، أما التعليم المباشر تلقينا باللسان فلا يعدو سامعه ولا يتجاوز إلى غيره، وقد نقل السيوطي عن الحافظ في البيان والتبيان قوله:" القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا".[2]

غير أنه لا يمكن القول بأن كل التصنيفات كانت على قدر واحد من الأهمية، فلا شك أن منها الغث ومنها السمين، ومن العلماء المكثر ومنهم المقلّ، وليس ذلك دليلا على غزارة العلم أو قلته، فما أكثر من ألف كتابا واحدا جمع إليه أنظار أهل العلم ولا يزال يشغل الباحثين، كما فعل إمام دار الهجرة بموطئه حتى قيل:" اتقوا صاحب التصنيف الواحد".

ثم إن من العلماء من كتب لعصره ومنهم من كتب لأزمان أخرى ولذلك أوصى النووي في شرح المهذب – كل مصنف – قائلا: "... وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه – على الأقل أن لا يكون هناك ما يغني عن تصنيفه، فإن أغنى بعضها زاد عمن سبقه بما يكون نافعا لقارئه... وليكن تصنيفه فيما يعم الانتفاع به يكثر الاحتياج إليه." [3].

ثم إنه ليس المقياس ما يراه الناس أنه أجدى اليوم أو لا، ولكن العبرة بكون المكتوب حقا أو باطلا، علما أو مجرد خيالات أشبه بخيوط القمر، ولذلك ذكر ابن عساكر أن البويطي قال للشافعي مرة: إنك تتغنى في تنظيف الكتب وتصنيفها والناس لا يلتفتون إلى كتبك ولا إلا تصنيفك، فقال الشافعي رحمه الله: إن هذا هو الحق لا يضيع".[4]

---

[1] *السيوطي، التعريف بآداب التأليف، تحقيق مرزوق علي إبراهيم – دار الشهاب – الجزائر ص 22 - 24.*

[2] *المصدر السابق ص.30*

[3] *نفسه ص 25.* [4] *نفسه ص28-29*

وقد أولت الأمة الإسلامية اهتماما كبيرا للتأليف، وحفظ العلم في الكتب، مع التحري الدقيق في نقلها ونسخها حتى لا يضيع معنى أراده مؤلف، وحرصا من علمائنا على الأمانة العلمية أبدعوا منهاجا متكاملا في علم مصطلح الحديث يمنع وقوع التصحيف والتحريف فبينوا كيفية المقابلة لمن نسخ كتابا، وكيفية إلحاق السقط في الحاشية، وطريقة التصحيح والتضبيب والتمريض، وكيفية الشطب والضرب، وغيرها من المصطلحات التي تحفل بها كتب المصطلح.

و لم تكن هذه العناية مقصورة على العلماء فحسب، بل حتى الحكام أيضا ساهموا في نشر العلم فقربوا العلماء وبذلوا لهم العطايا كي يتفرغوا للعلم، وجلبوا الكتب والمخطوطات إلى بلاد الإسلام كلما سنحت الفرصة لذلك. ويحكي التاريخ أن حربا وقعت بين المسلمين والروم استطاع فيها المأمون أن يتغلب على ملك الروم، فاضطر الملك الرومي "توفيل ثيوفيلوس" أن يطلب الصلح، فانتهز المأمون الفرصة ليعرض على "توفيل" أن يأخذ بدل الغرامة المالية كتب الفلسفة والعلم التي كانت مطمورة في السراديب عند الرومان ففرح ملكهم بذلك، وكان للمسلمين ما أرادوا [1] إيمانا منهم أن العلم أغلى ما تملكه الأمة، وأن هدفهم من الفتوحات ليس المال أو الدنيا بقدر ما هو عمل إنساني شريف يشيع العدل في كل مكان مزقه الظلم، وينشر العلم في كل موطن لبسه الجهل.

يقول لو ترب ستودارد في كتابه حاضر العالم الإسلامي:"إن العرب موئل الإسلام ما كانوا أمة تحب إراقة الدماء، وترغب في الاستلاب والتدمير، بل كانوا على الضد من ذلك أمة موهوبة عظيمة الأخلاق،تواقة إلى ارتشاف العلوم".[2] في حين قام البيزنطيون أو ملوك

---

[1] *عمر فروخ، الحضارة الإنسانية و قسط العرب فيها، دار لبنان للنشر ط 2، 1980. ص 40 بتصرف.*

[2] *أنور الجندي، آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب، الرسالة، بيروت ط 3 سنة 87، ص 88.*

الروم بطمر كتب العلم والفلسفة في الدهاليز وعمدوا إلى إتلافها ظنا منهم أن العلم ينافي الدين المسيحي ويحارب الكنيسة وذلك حين انتشرت النصرانية في بلاد اليونان. [1]

هذا مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية، حيث تلتحم جهود العلماء والحكام وأرباب المال ورجال الأعمال لخدمة الدين ونشر العلم والحضارة الإسلامية ثم إنه ليس من الإنصاف أن نسميها الحضارة العربية ونغفل جهود الكثير من العلماء العجم، فالفارابي وابن سينا تركيان، والخوارزمي والغزالي فارسيان، وابن البناء البغددي بربري في الأغلب، وابن باجة فرنجي على القطع وغيرهم، فالأفضل أن يقال الحضارة الإسلامية لشمول هؤلاء وغيرهم من العرب أمثال ابن خلدون وجابر بن حيان وابن الهيثم. [2]

غير أنه يجب القول بأن الكثير من تراثنا الثقافي يحتاج إلى دراسة واعية – فلا يخلو من غيث – نجعل القرآن والسنة الصحيحة حكما وميزانا، هذا مع ترك المجال للعلم التجريبي الحديث أن يقول كلمته في ما هو من اختصاصه، ونحن نعلم أن القرآن لا يعارض حقيقة علمية قط، ولذا قالوا بعدم تعارض العقل والنقل، إذا كان النقل صحيحا والعقل صريحا. ولئن كان علماؤنا في السابق موسوعات في مجالات متعددة لا يمنعهم التخصص في الفقه أن يكونوا فلكيين أو أطباء أو علماء كيمياء مبرزين أو في أي فن من الفنون الأخرى، فإنه قلما يتاح لفقيه اليوم أن يجمع بين ذلك كله أو بعضه، فمن الواجب الذي يمليه العصر أن تربط حلقات البحث في مجال العلوم الإسلامية بأهل الاختصاص في ما يحتاج إلى حكم شرعي كما هو الشأن في بعض المجامع الفقهية المعاصرة، والرجوع إلى أهل الخبرة أمر مشروع بل هو السبيل الذي يحقق مقصود الشارع. وهاك بعض الأمثلة على بعض المسائل الشرعية والعلمية والتي

---

[1] عمر فروخ، *الحضارة الإنسانية و قسط العرب فيها*، ص 39 بتصرف.

[2] *المرجع ذاته* ، ص39-40

تحشا بها كثير من الكتب في تراثنا الإسلامي ولئن كان للقدامى بعض العذر من وجه، فلست أدري أي عذر لنا نحن اليوم..

1- العلوم التجريبية:

أضع بين يديك أمثلة هي مثار العجب اليوم وقد رسا العلم على نقيضها أو على ما يخالفها يقينا، وليس العجب فيمن كتب كما قلت ولكن فيمن يدرس مثل هذا الكلام لأولاد على أنه العلم الحقيقي وما سواه مؤامرة يهودية على حقائق الإسلام .. انظر كيف يرى بعضهم ماهية القمر ومكوناته:

- "يسمى قمرا لأن ضوءه يقمر الأرض أي يغلب عليها، وهو في غلاف من ماء فكل ليلة يظهر منه شيء حتى يكتمل بدوره في ليلة أربعة عشر ثم يعود إلى الغلاف قليلا قليلا فيقطع الفلك في ثمانية وعشرين ليلة ثم يختفي، وهو مخلوق من نور العرش كما قاله بعض المفسرين. وأما قول بعض العوام إنه مخلوق من تراب فهو كذب لا أصل له" [1]. ويقول آخر في تفسير ظاهرة المطر ونزوله:

- قال الشبرخيتي: المطر عند أهل السنة يترل قطعا كبارا من بحر تحت العرش فيبسط على السحاب، والسحاب كالغربال، فيترل المطر قطرات من عيونه" [2] وهذا مخالف لما ذكره من هو أعلم منه في هذا المجال من علمائنا كما في كتاب الأنواء لابن قتيبة [3] ولست أدري ما دخل أهل السنة في الموضوع؟ هذا إقحام للعقيدة في مسألة علمية بحتة، فهل يا ترى يحكم على من يرى غير هذا الرأي بأنه ليس من أهل السنة والجماعة؟ ولا

---

[1] *الصفتي على شرح ابن تركي للعشماوية، دار الفكر بيروت، ط 5 سنة 77، ص 163.*

[2] *المرجع نفسه ص 38.*

[3] *ابن قتيبة، الأنواء طبعة الهند ص 14 – 15 طبعة الهند 1375 هـ.*

داعي للتعليق على هذا الكلام، وقد بين لنا العلم اليوم كيفية حدوث المطر.

وهذا شرح آخر لظاهرة فلكية كثيرة الحدوث وهي: الكسوف فيقول فيه أحدهم: وفي السماء بحر إذا وقعت فيه الشمس أو بعضها استتر نورها، قال ابن العماد: وما يقوله المنجمون من أن الشمس إذا صادفت في سيرها القمر حال القمر بينها وبين ضوئها فباطل لا أصل له ولا دليل عليه" [1]، وقال الزرقاني: "وزعم أهل الهيئة أن كسوف الشمس لا حقيقة له فإنه لا تتغير في نفسها وإنما القمر يحول بيننا وبينها ونورها باق وأما كسوف القمر فحقيقة فإن ضوء الشمس وكسوفه بحيلولة ظل الأرض بين الشمس وبينه بنقطة التقاطع فلا يبقى فيه ضوء البتة فخسوفه ذهاب ضوئه حقيقة، وأبطله ابن العربي بأنهم زعموا أن الشمس أضعاف القمر فكيف يحجب الأصغر الأكبر إذا قابله !!"[2] . وإنني في حل من أمري في عدم التعليق على ذلك بشيء، فلم يعد الأمر يخاف على أحد.

وقد ذكرت هذا الكلام الذي لا يمثل حضارة الإسلام بحجمها الكبير تنبيها على ما يستحق المراجعة أما كون علمائنا أبدعوا في هذا المجال وأسهموا فيه فلا داعي للشك في حقائقه، فقد حفلت كتب التاريخ منها برصد ظواهر فلكية مما يدل على تتبع الظواهر الطبيعية بدقة متناهية ومثال ذلك ما ذكره ابن الجوزي: "وهو يصف ظهور مذنب سنة 458هـ وفي العشر الأولى من جمادى الأولى ظهر في السماء كوكب له في المشرق ذؤابة عرضها نحو ثلاثة أذرع وطولها أذرع كثيرة إلى حد المجرة من وسط السماء مادة إلى المغرب ولبث إلى ليلة الأحد لست بقين من هذا الشهر وغاب ثم ظهر في ليلة الثلاثاء عند غروب الشمس قد استدار نوره عليه كالقمر، فارتاح الناس وانزعجوا ولما أعتم الليل رمى ذؤابة نحو الجنوب

---

[1] *الصفتي على شرح ابن تركي للعشماوية ص 126.*

[2] *شرح الزرقاني على الموطأ ج 1 ص 373.*

وبقي عشرة أيام حتى اضمحل" وهذا يطابق إحدى مرات ظهور مذنب هالي حيث ظهر في نفس التاريخ الذي ذكره ابن الجوزي[1] في كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

"ماء زمزم قالوا عنه : "فيستعمل في الوضوء والغسل ويكره استعماله في النجاسات إكراما له، والاستنجاء به يورث مرض البواسير كما قال الحطاب [2] فلو اكتفى بالقول بكرامته على سائر المياه لكان سائغا غير أن ما ذكر عن الحطاب ليس بسديد ذلك أن الشارع ما كان ليسكت عن أمر كهذا دون بيان والناس في حاجة دائمة إلى الاستبراء والنجو، فكيف لا يبين خطورة هذا الماء إذا استعمل في هذا الأمر، ثم نقول وكيف مصير العرب الذين استعملوا ماء زمزم في هذا الغرض وغيره، هل حدث التاريخ عن إصابتهم بهذا المرض؟ لا شك أنه وهم لا حقيقة له.

وفي الباب أيضا ما كان من نظر علماء الإسلام في الكيمياء أو السيمياء والتي كانت قديما لصيقة بكثير من الخرافات والأخيلة والسحر، وخوض الفلاسفة في هذا العلم، فقال المسلمون بتحريمه لهذه العلة بل قال ابن تيمية: والكيمياء باطلة محرمة، وتحريمها أشد من تحريم الربا" [3] ولم يقتصر الأمر على مجرد تحريمها بل اعتبرت ممارستها منكرا يجب النهي عنه حيث يقول: "ولا يجوز بيع الكتب التي تشتمل على معرفة صناعتها وأفتى بعض الولاة بإتلافها" [4] ، وإن كان مقصوده بذلك تحويل الحقائق وقلب الهيئة الأصلية للأشياء غشا وتدليسا، كما يفعل السحرة والمشعوذة من اليهود والنصارى وأهل البدع [5] غير أن هذا البيان منه رضي الله عنه لا يزال فيه نوع إشكال، خاصة وأنه ذكر خالد بن يزيد بن معاوية كونه ممن

---

[1] مجلة الفيصل عدد 274 ص 101.

[2] الصفتي على شرح ابن تركي للعشماوية ص 38.

[3] ابن تيمية، الاختيارات الفقهية ص 129.

[4] المرجع ذاته ص 129. [5] ابن تيمية، الفتاوى ج 29 ص 369 وبعدها بتصرف.

يحدث في الكيمياء ووصفه بقوله: "وليس هو ممن يقتدي به المسلمون في دينهم". وهذا إن صح النقل عنه، وقال في جابر بن حيان: "مجهول لا يعرف" [1].

ولا يخفى على أحد ما قاله -حاجي خليفة أن أول من تكلم في هذا الفن ووضع فيها الكتب من أهل الإ سلام خالد، هذا ولكنه اشتهر على يد جابر [2]، وهذا يوهم بأن المقصود من التحريم هو الكيمياء بوجه عام تماما، مثل قول ابن الحاج: "وأما الاشتغال بتحصيل علم الكيمياء فهو من الباطل البين والغش المتعدي ضرره لأهل زمانه ومن بعدهم، وذلك أن من فعلها فقد خلط على الناس أموالهم وبخسها عليهم"[3] وقد اعتبروا ترك كتبها توبة يحمد الله عليها.

وقالوا إنما هلك الناس بكتب ابن سينا وبالكيمياء.[4] ولكن جاء من أهل العلم من المتأخرين فأبطل العمل بهذه الأقوال، وزاد إيضاحا لما كان مبهما، باعتبار أن مفهوم هذا العلم قد تميز في هذا العصر عما كان متوهما من أنه شقيق السحر، قال الشيخ محمد حامد الفقي في تحقيقه للأختيارات الفقهية، معقبا على قول ابن تيمية السابق: أما علم الكيمياء المعروف اليوم فهو فن عظيم قد بلغ أهله اليوم شأوا بعيدا في معرفة العناصر الأولية للمعادن وغيرها وخرجوا بذلك باكتشافات ومستحدثات غيرت شؤون الحياة حربيا واقتصاديا .. فسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم ولكن أكثر الناس لا يعلمون.[5] وهذا هو الحق الذي ينبغي أن يصار إليه.

---

[1] ابن تيمية، الفتاوى ج 29 ص 374.

[2] اجي خليفة، كشف الظنون، ج 2 ص 1531.

[3] ابن الحاج المدخل ج 3 ، ص 144. [4] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج 3 ص 338. [5] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج 3 ص 338.

2 – في تفسير القرآن:

هناك الكثير من الآراء الشاذة والروايات الضعيفة بل والموضوعة أحيانا تحشى بها بعض كتب التفسير، فابن أبي حاتم وابن مردويه وابن جرير الطبري – شيخ المفسرين والمؤرخين – يجمعون في تفسيرهم الصحيح والحسن، والضعيف والمنكر، بل والموضوع أحيانا من الأحاديث المرفوعة والموقوفة، والمقطوعة، اعتمد جمع من المستشرقين على بعضها فروجوا لباطل لا أصل له، ولئن كان للقدامى من عذر فكونهم ذكروا أسانيد مروياتهم وتركوا دراستها لمن يليهم، فإذا قاموا هم بالتقميش، فلا عذر لمن قصر في التفتيش.

يقول عمر فروخ: "إن أبا جعفر الطبري سيد المؤرخين قد جمع في كتابه كل الروايات التي وصلت إليه بأسانيدها .. ليقول لمن بعده: خذوا هذه المادة الخام وأجيلوا فيها عقولكم ثم احكموا على الأحداث وعلى الذين تجري هذه الأحداث على أيديهم[1]..

وإن كان هناك من عذر للقدامى في سرد تلك الروايات بل فيها حتى الموضوع المختلق ولكن بأسانيدها حتى يتفحص المتأخر ذلك ومن أسند لك فقد حملك أي حملك مؤنة البحث والتفتيش في أحوال تلك المرويات والحوادث[2]، وقد وقع الكثير في أغلاط منها محاولة إثبات قصة الغرانيق عند قوله تعالى: **(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)**، وقد تصدى للرد على هذا الباطل جهابذة كبار من القدامى والمعاصرين، أكتفي بذكر علم من أهل الحديث المعاصرين الشيخ الألباني رحمه الله في (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق)

---

[1] *عمر فروخ، الحضارة الإنسانية و قسط العرب فيها ص 52.*

[2] *القرضاوي، ثقافة الداعية، الرسالة بيروت ط 5، سنة 1983، ص 48.*

فلم يبق مبرر لأحد نقل هذا الباطل دون بيان، وأترك هذا الموضوع لأذكر غيره.

قال ابن العربي: روي عن طاووس أنه كان لا يحضر نكاح سوداء بأبيض ولا بيضاء بأسود ويقول هذا من قول الله: **(فليغيرن خلق الله)** النساء الأية 118، قال القاضي وهذا وإن كان يحتمله بأسود ويقول هذا من أنفذه النبي صلى الله عليه وسلم من نكاح مولاه زيد وكان أبيض بظئره بركة الحبشية –أم أسامة– وكان أسود من أبيض، وهذا مما خفي على طاووس مع علمه وقال القرطبي: قلت ثم أنكح أسامة فاطمة بنت قيس وكانت بيضاء قرشية وقد كانت تحت بلال أخت عبد الرحمان بن عوف زهرية وهذا أيضا يخص وقد خفي عليهما.[1].. كيف ينقل مثل هذا الكلام مع أن القرطبي وابن العربي بينا فساده، ولا يخفى على أحد كيف حارب الإسلام كل أنواع الميز العنصري، وجعل التفاضل مناطا بشيء واحد وهو التقوى (**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**)

ذكر الطبري في تأويل قوله تعالى: **(واهجروهن في المضاجع)** النساء الأية 34، إن الهجر ثلاثة أوجه: الرفض والترك، والإكثار من الكلام هازئا، والوجه الثالث: من هجر البعير إذا ربطه صاحبه بالهجار فأول الأقوال بالصواب في ذلك أن يكون "واهجروهن" موجها إلى معنى الربط بالهجار[2]. فهل وجدنا ذلك في معاشرة النبي صلى الله عليه وسلم لنسائه وهل نجد في السنة الصحيحة توجيها نبويا يوافق هذا القول وهل أنبأنا أثري أو إخباري عن أحد من الصحابة فعل هذا وهم أعرف الناس بالوحي واللغة؟ قال ابن العربي: يالها هفوة من عالم بالقرآن والسنة، وإني

---

[1] *القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 5 ، 395.*

[2] *الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الفكر، بيروت 1988، ج 5 ص 65 – 66.*

لأعجبكم من ذلك أن الذي أجرأه على هذا التأويل و لم يرد أن يصرح بأنه أخذه منه هو حديث غريب رواه ابن وهب عن مالك ثم ساق الحديث الغريب وعجبا له مع تبحره في العلوم وفي لغة العرب كيف بعد عليه صواب القول وحاد عن سداد النظر.[1] فهو – على جلالة قدره ومكانته - يختار أحيانا تأويلات ضعيفة بل هي في غاية الضعف، كما قال محمود شاكر[2] ونقله د. القرضاوي[3]، وقد وصف الزمخشري قوله بتفسير الثقلاء.

وكما في تفسير قوله تعالى: **(وإذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه)** الأحزاب الأية37 حيث اختلق بعضهم قصة عاطفية مفتراة تعلق بها المستشرقون والمبشرون وجعلوا منها قصة درامية غرامية كوسيلة للطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعجب من ذلك عدم تحري بعض المعاصرين حين كتبوا في السيرة والتفسير وأوردوا هذه الروايات بدعوى أنها في كتب التفسير مثل د. بنت الشاطئ رحمها الله في نساء النبي صلى الله عليه وسلم.

ومما يذكر في كتب التفسير في قول الله تعالى: **(ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين)** الحجر الآية 80 أنه لا تجوز الصلاة في منطقة أصحاب الحجر لأنها دار سخط وبقعة عذاب، قال ابن العربي: فصارت هذه البقعة مستثناة من قوله صلى الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"، فلا يجوز التيمم بترابها ولا الوضوء من مائها ولا

---

[1] *ابن عربي، أحكام القرآن : ج 1 ص 418 باختصار وتصرف.*

[2] *هامش تفسير ابن جرير الطبري ج 8 ص 312 - 313.*

[3] *القرضاوي، ثقافة الداعية ص 49.*

الصلاة فيها[1] ودليل هؤلاء ما أخرجه البخاري : عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم ألا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجنا واستقينا، فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا الماء وأن يطرحوا ذلك العجين، وفي الصحيح أيضا: أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يهرقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين. وقد ذكر د.الزحيلي من المعاصرين هذه الآراء دون تحقيق في المسألة[2]، في حين يقول المحقق الحافظ ابن عبد البر: المختار عندنا في هذا الباب أن ذلك الوادي وغيره من بقاع الأرض جائز أن يصلى فيها كلها ما لم تكن فيها نجاسة متيقنة تمنع من ذلك، ولا معنى لاعتلال من اعتل بأن موضع النوم عن الصلاة موضع شيطان وموضع ملعون لا يجوز أن تقام فيه الصلاة... وكل ما روي في هذا المعنى من النهي ... كل ذلك عندنا منسوخ ومدفوع بعموم قوله صلى الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"، ثم ذكر قاعدة ذهبية: إن هذا الخبر من فضائله ومما خص به، وفضائله عند أهل العلم لا يجوز عليها النسخ ولا التبديل ولا النقص ... وقال أيضا:وجائز على فضائله الزيادة وغير جائز فيها النقصان، وقال: ففضائله صلى الله عليه وسلم لم تزل تزداد إلى أن قبضه الله، فمن هاهنا قلنا إنه لا يجوز عليها النسخ ولا الاستثناء ولا النقصان.[3] وهو ما قاله الإمام القرطبي معقبا على ابن العربي بقوله: والصحيح إن شاء الله الذي يدل عليه النظر والخبر أن الصلاة بكل موضع طاهر جائزة صحيحة وما ذكر من نهي فإنه مردود إلى الأصول المجتمع عليها والدلائل

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج 10 ص 47.

[2] د. وهبة الزحيلي، التفسير المنير : ج 14 ص 64 ، 65

[3] ابن عبد البر، التمهيد تحقيق، سعيد أحمد أعراب مكتبة الأوس، المدينة المنورة ج 5 ص 217 – 220 باختصار وبتصرف قليل، القرطبي ج 10 ص 48 ، 49 ، 50.

الصحيح مجيئها[1] وقال ابن حجر: "أبيح – لهذه الأمة – الصلاة في جميع الأرض إلا فيما تيقنوا نجاسته "[2] وقال القسطلاني بعد ذكر أقوال في كراهة أو جواز الاستسقاء من آبار ثمود وهل يمنع التطهير بها قال والظاهر أنه لا يمنع".[3]

3- وفي الفقه

كثيرا ما تذكر بعض الكتب الفقيهة ما يسمى بآدمية البحر أو عروسه أو بناته ويقولون: يجري فيها ما يجري في الآدمية فلا يجوز تزوجها ويعزر إن وطئها ولا يحد وجعلوا لمسها ناقضا للوضوء[4]، غير أن علم البحار الحديث لا يتحدث عن هذا المخلوق البتة. وإن كان الدميري قد ذكر هذا المخلوق[5] باسم إنسان الماء وباسم بنات الماء.

قال ابن أبي زيد القيرواني في الرسالة: "وتكره التجارة إلى أرض العدو وبلد السودان"، قال الشيخ زروق: أما كراهة التجارة إلى أرض العدو فللدخول تحت أحكامهم وفي المدونة شدّد الإمام مالك الكراهة في التجارة إلى أرض الحرب كري أحكام المشركين عليهم، عياضا إن تحقق ذلك حُرم ويختلف إذا لم يتحقق .. وأجرى أبو مهدي الغبريني الركوب في مراكبهم على ذلك أما بلد السودان فقيل المراد بها بلد الكفر منها لأنها كبلاد الحرب قلت والذي يظهر أن ذلك لما فيها من المخاطرة بالنفس

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ،ج 10 ص 48 ، 94 ، 50.

[2] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 1 ص 347.

[3] القسطلاني، إرشاد الساري ، ج 5 ص 368.

[4] الصفتي على شرح ابن تركي للعشماوية ص33.

[5] حياة الحيوان الكبرى ص 40 وص 144 ج 1.

والمال من أجل العطش والخوف ونحو ذلك فإنه شديد حسبما أخبرنا به"[1].

ولا يخفى على أحد من الدارسين للتاريخ الإسلامي مدى أثر التجار المسلمين – الذين جابوا أقطار الدنيا وطوفوا في البلاد – في تبليغ دعوة الله يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: "ساح التجار والمتصوفة في أواسط إفريقيا وأرجاء الهند وجزر إندونيسيا وكانوا يعرضون الإسلام نظريا وعمليا على أمم لا تدري عنه شيئا .. وقد دخلت الألوف المؤلفة عن هذا الطريق.[2] غدا المال هو عصب الحياة فإن التجارة من أهم مصادره بل إن مكة كانت من أهم البلاد التجارية وكان العرب يألفون الرحلة للتجارة وطلب الرزق من أوسع أبوابه "وسورة قريش" موجزة لهذه الحرفة، ولا يخفى خطورة المال في العصر الحديث فكما يقول الغزالي رحمه الله: التجار في الدنيا ملوك المال وقد افتتح الإنجليز القارة الهندية بشركة تجارية ولا يزال الاستعمار الاقتصادي يهيمن على التجارة حتى يمتلك أعناق الشعوب[3].

ومما يذكر في كتب الفقه من خلاف حول مدة الحمل، فيقول الحنفية إن أقصى مدة الحمل سنتان، وذهب الشافعية إلى أنها أربع سنوات، ويرى الظاهرية أنها تسعة أشهر ويقول المالكية بأن أقصاها سنة قمرية، ولم يرد في المسألة نص ومرجع ذلك الاجتهاد والخبرة، وأهل الخبرة هم الأطباء اليوم، وقد نفى العلم الحديث مكث الجنين في بطن أمه

---

[1] *زروق على الرسالة ج 2، ص 406.*

[2] *الغزالي، معركة المصحف ص 71.*

[3] *الغزالي، السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ص 25.*

تلك المدة المذكورة، إلا أن يزيد الحمل عن الحالة العادية – تسعة أشهر – شهرا أو شهرين، فالأخذ بما قضى به الطب والعلم متعين والله أعلم.[1]

4- في التصوف والتزكية

من أهم الموضوعات التي نالت قسطا من البحث عند المتصوفة التوكل ومع الأسف الشديد أن كثيرا منهم جعله منافيا للأخذ بالأسباب ولم يسلم من هذا الفهم صغير في العلم ولا كبيره، مما جعل الأمة تترك كثيرا من أسباب الرقي بهذه الدعوى التي يعوزها الدليل، والفهم الصحيح للقرآن والسنة وفي ذلك يقول ابن الجوزي مستغربا هذا الرأي: قيل لأبي عبد الله ابن الجلاء ما تقول في الرجل يدخل البادية بلا زاد قال هذا من فعل رجال الله قال فإن مات قال الدية على القاتل. قال ابن الجوزي: قلت هذه فتوى جاهل بحكم الشرع إذ لا خلاف بين فقهاء الإسلام أنه لا يجوز دخول البادية بغير زاد وإن فعل ذلك فمات بالجوع فإنه عاص لله مستحق لدخول النار، وقد اعتذر لهم أبو حامد فقال لا يجوز دخول المفازة بغير زاد إلا بشرطين.

1- أن يكون الإنسان قد راض نفسه حيث يمكنه الصبر على الطعام أسبوعا ونحوه.

2- أن يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخلوا البادية من أن يلقاه آدمي بعد أسبوع أو ينتهي إلى حلة أو حشيش يرجى به قوته.

قال ابن الجوزي رحمه الله: أقبح ما في هذا القول أنه صدر من فقيه[2]. وعلى هذا القول بنى بعضهم مذهبه في كراهة التداوي وقد ذكر الطبري

---

[1] *البعد الزماني والمكاني وأثرهما في الفتوى، يوسف بلمهدي، دار الشهاب بيروت، ط 1 سنة 2000. ص 218.*

[2] *ابن الجوزي تلبيس إبليس ص 384 - 385.*

أدلة على فساد ما يقوله أهل الغباوة من أهل التصوف والعبّاد من أن التوكل لا يصح لأحد عالج علة به في جسده بدواء إذ ذاك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضر والنفع .. مع أن التداوي مباح بالإجماع .

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تداوى وأمر بالتداوي[1]. وقد أحسن الله بالأمة بل وبالبشرية خيرا أن هذا القول متهافت، لم يقل به جمهور العلماء، إذ لو قدر الله ذلك لما وصل المسلمون الأول الغاية في علم الطب وتفننوا فيه، فهم أوائل من نظم الأراجيز الطبية وكانوا أوائل أيضا في الغالب في تأليف الكتب الطبية على شكل جداول تشبه جداول علم الفلك أو كما كانوا يسمونها "الزيوج الفلكية".

وذكر د. محمود محمد أحد عشر كتابا ألف بهذه الطريقة، مما يدل على الشأو الذي بلغه الطب عند المسلمين من أمثال الكندي 252هـ 864 م، وابن بطلان البغدادي 460 هـ 1068م وغيرهما، وكيف أن تلك الجداول المرتبة حسب قوى الأدوية والأغذية وطرقها الصحية، والوقاية بأساليب الحمية، والاهتمام بوقاية تلوث البيئة والعلاج بنوعيه البدني والروحي، وطبيعة العقاقير ودرجتها كما وكيفا وأهمية الرياضة البدنية[2]. بل هناك مسائل لم يسبق إليها غير المسلمين مثل رسالة أبي بكر الرازي في الزكام التحسسي. والذي كان له شرف وصف هذا الداء لأول مرة في تاريخ الطب[3]، وكيف لا والمسلمون لم يتعرفوا على طبيعة النبات فقط بل حتى علم خواص الأحجار والتعدين، ومن علماء الإسلام في هذا المجال

---

[1] المرجع ذاته ص 366.

[2] د. محمود الحاج قاسم محمد، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد : 9 سنة 1995، ص 89.

[3] د. محمد ياسر زكور، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد : 22 و 23 سنة 1998 ص 200 وما بعدها.

الكندي، محمد الرازي، الجوهري، التيفاشي والسنجاري المعروف بابن الأكفاني وأعظمهم قدرا العلامة البيروني - أبو الريحان - 362 هـ 973م[1].

أليس من الغريب فعلا بعد كل الذي ذكرته عن دور علماء الإسلام في خدمة الطب أن تقرأ هذا الكلام في كتاب فقهي: "وهل يحرم التداوي بتحريم السبب الذي هو كشف العورة ونحوه ظاهر نصوص الأئمة جوازه وقد عمت به البلوى في هذه البلاد بالاحتقان ولم نقف في ذلك على شيء إلا في التوضيح من قوله فائدة": قال ابن حبيب في كتاب له في الطب كان علي وابن عباس ومجاهد والشعبي والزهري وعطاء والنخعي والحكم بن عتبة وربيعة وابن هرمز يكرهون الحقنة إلا من ضرورة غالبة وكانوا يقولون لا تعرفها العرب وهي من فعل العجم وهي ضرب من فعل قوم لوط ... وقال ابن حبيب وكان من مضى من السلف وأهل العلم يكرهون التعالج بالحقن إلا من ضرورة غالبة لا يوجد عن التعالج بها مندوحة .. ثم ذكر أن مالكا سئل عن الحقنة فقال ليس بها بأس ألا ترى أنه إنما قال ذلك لأنها ضرب من الدواء فيه كمنفعة للناس[2]. فلئن وجد في بعض الكتب مثله قديما فما مبرر وجوده اليوم في التدريس التقليدي؟.

وهناك الكثير من القصص والحكايات التي تساق في أسفار القدامى والمعاصرين على أنها غاية التقوى وهي في الحقيقة تكلف لم يأذن به الله، بل إن بعضها مخالف لنصوص صريحة فانظر ما كتبه أبو بكر الجزائري في "منهاج المسلم" تحت عنوان: المحاسبة وهو يذكرها على أنها شواهد رائعة في هذا الباب[3]:

---

[1] د. أحمد عبد القادر المهندس، مجلة آفاق الثقافة والتراث العدد السابق ص 190 وما بعده.

[2] زروق على الرسالة ج 2 ص 410.

[3] أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم ص 96 - 97.

وحكي عن الأحنف بن قيس أنه كان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه: يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟

وحكي أن أحد الصالحين كان غازيا فتكشفت له امرأة فنظر إليها فرفع يده ولطم عينه ففقأها وقال إنك للحاظة إلّى ما يضرك!

ومر بعضهم بغرفة فقال متى بنيت هذه الغرفة؟ ثم أقبل على نفسه فقال: تسألين عما لا ينفعك لأعاقبنك بصوم سنة فصامها – وروي أن أحد الصاحين كان ينطلق إلى الرمضاء فيتمرغ فيها ويقول لنفسه: ذوقي، ونار جهنم أشد حرا أجيفة بالليل بالنهار؟

وإن أحدهم رفع رأسه يوما إلى سطح فرأى امرأة فنظر إليها فأخذ على نفسه أن لا ينظر إلى السماء ما دام حيا ... يقول الجزائري معقبا: هكذا كان الصالحون من هذه الأمة يحاسبون أنفسهم عن تفريطها يلومونها على تقصيرها يلزمونها التقوى وينهونها عن الهوى عملا بقوله تعالى **(وأما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى)**. اهـ.

أفبمثل هذه القصص نربي الأمة وقد عفا الشرع عن النظرة الأولى، وأمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ذلك الذي نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم – ويدعى أبا إسرائيل – بقوله: "مره فليتكلم وليستظل وليقعد، وليتم صومه" رواه البخاري وهو برقم 6326 – ترقيم وضبط د. البغا. فما أجمل المنهج الذي سنه المصطفى صلى الله عليه وسلم وسلف هذه الأمة دون ابتداع سيما في مجال العبادات وهذا ما ينبغي أن ندعو الناس إليه ونشئهم تنشيئا، فهو منهاج المسلم المتوازن الذي أعطى كل ذي حق حقه.

يقول ابن عربي في الباب 333 من فتوحاته: "إن الأصل الساري في بروز أعيان الممكنات هو التثليث والأحد لا يكون عنه شيء البتة وأول الأعداد الاثنان ولا يكون عن الاثنين شيء أصلا ما لم يكن ثالث يربط بعضهما ببعض فحينئذ يتكون عنهما ما يتكون، فالإيجاد عن الثلاثة والثلاثة أول الأفراد". يقول الشيخ الغزالي رحمه الله تعليقا على هذا الكلام الخطير: "لم أقرأ في حياتي أقبح من هذا السخف ولا ريب أن الكلام تسويغ ممجوج لفكرة الثالوث المسيحي، وابن عربي مع عصابات الباطنية والحشاشين الذين بذرهم أوربا في دار الإسلام أيام الحروب الصليبية الأولى كانوا طلائع هذا الغزو الخسيس[1]. ويقول ابن عربي أيضا: إن الله سمى القائل بالتثليث كافرا أي ساترا بيان حقيقة الأمر فقال: **(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)** المائدة الأية 75، فالقائل بالتثليث ستر ما ينبغي أن يكشف صورته ولو بين لقال هذا الذي قلناه .. واكتفى الأحمق بذكر الحملة الأولى من الآية و لم يردفها بالجملة التالية: **(وما من إله إلا إله واحد)** وذلك تلبيس المقصود .. ومما يلفت النظر أن معهد الدراسات الإسلامية بجامعة السربون قد اتفق مع إحدى العواصم العربية على الفتوحات وإخراجها في بضعة وثلاثين جزءا. لحساب من يتم هذا العمل؟[2]. وما أكثر المضلين الذين جندوا كل شيء لهدم الدين وأركانه.

هذه بعض الأمثلة جمعتها من مراجع كثيرة لبيان أهمية الدراسة الفاحصة والمتأنية لتراثنا العلمي والثقافي، وحتى نسهم بدورنا في خدمة هذا الدين ولا يخفى أن الأمة ابتليت ببلايا كثيرة. أخّرت عجلة الانطلاق وإن كان السابقون الأولون أكثر تحررا من المتأخرين بحكم قربهم من

---

[1] *محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل ص 60.*

[2] *نفسه ص 61.*

المعين الصافي – الوحي – وإحكام علوم الآلة – سليقة أو دون تكلف – بينما نحن فقد أرهقتنا دواهي ثلاثة – حسب اعتقادي –:

1- **ابتعادنا عن القرآن والسنة الصحيحة:** وفقد أهل العلم الراسخين الذين يجمعون بين علم الرواية وعلم الدراية، بين فقه الدين وفقه الحياة، في حين نجد أعلى منصب ديني في الأمة وهو الإفتاء يناط بمن لا يفرق بين الكوع والبوع كما قيل قديما، بل ينال هذا المنصب المهيب من لا علاقة له بعلوم التشريع من قريب ولا من بعيد ورحم الله شكيب أرسلان حين قال: "ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين العلم الناقص .. وكما قيل: ابتلاؤكم بمجنون خير من ابتلائكم بنصف مجنون أقول: ابتلاؤكم بجاهل خير من ابتلائكم بشبه عالم "[1].

2- **كثرة التأليف دون ضوابط أو شروط:** قال ابن خلدون: "أعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته: كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع التقصير ولا بد دون رتبة التحصيل .. ثم ذكر المؤهل المغتبر لنيل منصب الفتيا :"والعمر ينقضي في واحد منها"[2] غير أن المقصود وجوب تحصيل ما يمكن به الاجتهاد والفتوى من علوم في غير تكلف، لا فتح المجال لكل جاهل أن يقول في دين الله ما شاء.

---

[1] *شكيب أرسلان لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ ص 75.*

[2] *المقدمة ص 531 والأشقر تاريخ الفقه الإسلامي 144 والفكر السامي للحجوي ج 2 ص 401.*

3- **التعقيدات والغموض:** وكأن التعقيد أضحى سمة للعلوم بحيث يحتاج الواحد منا كل ما كتب في فن واحد وما أكثره لكي يتسنى له الانتقال لعلم آخر، ثم إن الأسلوب الذي تتناول بعض المعارف هو أشبه بالألغاز، يحتاج كل لفظ بل كل حرف إلى شرح والشرح إلى حاشية والحاشية إلى..

أ- **في علوم الآلة:** يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: "حتى المنطق اليوناني الذي أوليناه من العناية ما لا يستحق عشره وأدخلناه في هندسة أسلوب التأليف في علوم الدين واللغة فعقدنا به هذه العلوم وأبعدناها عن أفهام الناس ".. ففقد الابتكار تماما وصار العلم تكرارا وإعادة وصار الفقه أحكاما بلا دليل، والفقيه راوية بلا اجتهاد، والنحوي حافظا بلا ملكة، والبلاغة أبعد شيء عن صناعة البيان والأدب صار مقتصرا على حكم ابن الوردي وقصائد عصر الانحطاط ونسي شعر جرير وبشار وأبي تمام والبحتري"[1].

أما ما يذكر عن علوم اللغة ونحوها فيقال عن محمد بن سليمان البرعي الرومي الكافيجي الحنفي – سمي كذلك لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو –قال مرة للسيوطي تلميذه: إعرب زيد قائم، فقلت قد صرنا في مقام الصغار ونسأل عن هذا فقال لي فيها 113 بحثا فقلت: لا أقوم من هذا المجلس حتى أستفيدهاو هذا الكسائي مات وهو لا يعرف تعريف نعم وبئس وأن المفتوحة والحكاية، و أما الخليل فلم يكن يحسن النداء، وسيبوبه لم يكن يعرف حد التعجب، وابن خالويه يتعلم النحو 50 عاما ليقيم لسانه و لم يقدر، والحسن ابن صافي الذي لقّب نفسه بملك النحو 568 هـ مات وهو لا يدري عشر مسائل "المسائل العشر المتعبات إلى يوم الحشر" وأمر أن توضع معه في قبره. فلست أدري كيف يناط فهم

---

[1] *الشيخ علي الطنطاوي، فصول إسلامية، ص 79.*

الشريعة الإسلامية بعلم اللغة ثم توضع كل هذه التعقيدات المخيفة، بل تدخل مع أحدنا قبره، وتصحبه يوم الحساب، ولئن كان بعض المباحث في هذه العلوم بهذه الأهمية فإنما يكلف بدراستها الخاصة لا العامة.

ب – **في علوم الغاية**: كالفقه يقول القرضاوي نقلا عن الإحياء بأن هناك ألفاظا إسلامية حرفت عن مقاصدها من ذلك الفقه: فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة .. والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال له الأفقه ..بل إن التجرد للفروع بهذا الشكل على الدوام يقسي القلب ويترع الخشية منه[1].. كيف يمكن أن نعلم الناس الصلاة من كتاب مثل الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع في فقه الشافعية .. والذي يعرض النية كركن من أركانها في عدة صفحات مليئة مزدحمة، أو التكبير .. الخ من التعقيدات، "وكل إسراف لا بد أن يكون بجانبه حق مضيع"[2].. وقد أفرز لنا هذا الوضع العلمي المتكلف طائفة من المتعمقين المرضى هم أقرب إلى الخبل منهم إلى العقل مما جعل الإمام ابن قدامة الحنبلي يكتب عنهم رسالة بعنوان: "ذم الموسوسين والتحذير من الوسوسة"[3].

الخاتمة:

لا يخفى على أحد أن واجب المسلمين في نشر الثقافة الإسلامية، ودفع الشبهات عن هذا الدين الذي لا يلقي أعداؤه السلاح في محاربته صار من أوجب الواجبات، وأعظم أبواب الجهاد لا سيما ونحن نجد أبناءنا أجهل الناس بتراثهم وتاريخهم، بل إنهم يعرفون عن غيرهم أكثر مما

---

[1] د. القرضاوي، فصول إسلامية، ص 301.

[2] نفسه ص 304 – 308. [3] المرجع ذاته ص 311.

يعرفون عن دينهم وحضارتهم، وقد أشار أحد الباحثين إلى أنه بمراجعة المناهج التي تدرس للمسلم في المدارس الإعدادية والثانوية نجد: أوربا تحضى بـ 370 صفحة، والحضارة الإسلامية 25 صفحة، والثورة الفرنسية 35 صفحة، والدعوة الإسلامية 23 صفحة، ونابليون 16 صفحة، أما عمر بن عبد العزيز فصفحة واحدة، فإذا ذهبت إلى مضمون الحضارة الإسلامية وجدت من يقول بأن المسلمين أخذوا عن أرسطو وأفلاطون فكرهم، وأن المعتزلة والفلاسفة هم الذين أنشأوا الحضارة التي لم تلبث أن انهزمت بعد مجيء الغزالي وابن تيمية وأمثالهم[1].

ولذلك وجدنا في المسلمين من يعرف عن نابليون أكثر مما يعرف عن خالد بن الوليد، ووجدنا في العلوم التجريبية من لا يعرف أن علم الفيزياء مثلا وضعه المسلمون، وأن ابن الهيثم صاحب علم البصريات لم تزد الكشوفات اليوم عما وصل إليه شيئا كثرا، وأن الدورة الدموية اكتشفها ابن النفيس، وكروية الأرض أثبتها ابن حزم منذ قرون وأن قطر الأرض ومحيطها قيسا في عهد المأمون[2] .. وهكذا ظلمت الحضارة الإسلامية من أهلها حين أهملوا نشر تراثهم بل حتى التعرف عليه، ونظروا إليه نظرة احتقار ورموه وراءهم ظهريا، وإن كان في بعض ما كتب سابقا خاصة عصر الانحطاط لا يشرف هذا الدين من تعصب وتقليد، فإنه لم يحجب بحمد الله النور عن أهل الدعوة، وهذه شهادات بعضهم[3] نختم بها:

---

[1] أنور الجندي، سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، دار الشهاب باتنة ص 124 - 125 .

[2] نفسه ص 126 - 127 بتصرف.

[3] د. عماد الدين خليل في حضارة الإسلام ملاحظات ضرورية، مجلة آفاق الثقافة والتراث العدد 22 و 23 أكتوبر 1998.

يقول :موريس بوكاي: الإسلام قد عد دائما الدين والعلم توأمين متلازمين فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءا لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها الإسلام وأن تطبيق هذا الأمر هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة الإسلامية تلك التي اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوربا "..

- ويقول المفكر المجري محمد أسد مؤيدا: "أن التاريخ يبرهن وراء كل إمكان للريب على أنه ما من دين أبدا حث على التقدم العلمي كما حث عليه الإسلام وأن التشجيع الذي لقيه العلم والبحث العلمي من الدين الإسلامي انتهى إلى ذلك الإنتاج الثقافي الباهر في أيام الأمويين والعباسيين وأيام دولة العرب في الأندلس وأن أوربا لتعرف ذلك حق المعرفة لأن ثقافتها مدينة للإسلام بتلك النهضة على الأقل بعد قرون من الظلام الدامس".

- ويذكر المفكر الفرنسي غوستاف لوبون: "العرب ذوو أثر بالغ في تمدين الأقطار التي خضعت لهم .. وأن كل بلد خفقت فوقها راية النبي صلى الله عليه وسلم تحول بسرعة فازدهرت فيه العلوم والفنون والآداب والصناعة والزراعة أيما ازدهار"، "وأن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين".

- أما المفكر البريطاني بروم لاندو: "فإنه يذكر العفة البدائية للعرب قبل الإسلام وكيف أنهم في خلال 200 سنة بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أحرزوا ذلك التقدم الشامل العميق الذي يدعو إلى الذهول حقا في حين أن النصرانية احتاجت إلى نحو من 1500 سنة لكي تنشئ ما يمكن أن يسمى حضارة مسيحية ويرجع ذلك في نظره إلى الرغبة المتقدة في اكتساب فهم أعمق للعالم كما خلقه الله، لأنه يعرفك بقدرة الخالق ومن هنا فهو جدير بالدرس والتأمل .. ويقول في الختام: "في الإسلام لم يول كل من الدين والعلم ظهره للآخر ويتخذ طريقا معاكسة، لا والواقع أن الأول كان باعثا من البواعث الرئيسية للثاني".